

شرشوح

شرشوح

أَلْبطُّ طَائِرٌ مائِيٌّ قَصيرُ الْعُنُقِ، وَالسَّاقَينِ بِمِقْدار.

تَجْري أَحْداثُ قِصَّتِنا في بَلَدٍ ما جَميلٍ، وَلا أَجْمَلَ مِنْه، عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ قَصْر تُحْدِقُ بِهِ الْمِياهُ الزَّرقاءُ (تُحيطُ بِه). فَتَنْسابُ تِلْكَ الْمِياهُ (تَجْري) تَحْتَ الْأَعْشابِ الْخَضْراءِ الْكَثِيفَةِ الْعالِيَة. في ذَلِكَ الْمَكانِ بِعَيْنِهِ بَنَتْ بَطَّةٌ عُشَّها، وَحَضَنَتِ الْبَيْضَ بِصَبْرٍ وَأَناةٍ (طُولُ البَال).

تَوالَتِ الْأَيَّامُ (تَتَابَعَتْ)، وَبَدَأَتِ الْفِراخُ تَنْقُرُ قِشْرَةَ الْبَيْض، وَتَخْرُجُ مِنْ سِجْنِها، الْواحِدُ تِلْوَ الْآخَر (بَعْدَ الْآخَر). إِلَّا أَنَّ بَيضَةً واحِدَةً لَم تُفْرِخْ (لَم تَنْشَقَّ عَنِ الْفَرْخ، لَم يَخْرُجْ فَرْخُها). دَهِشَتِ الْبَطَّةُ الرَّنْقاءُ (الَّتِي تَحْضُنُ الْبَيض) لِهَذا الْأَمْر، وَهَمَّتْ بِأَنْ تَتَخَلَّى عَنْ تِلْكَ الْبَيضَة. لَكِنَّها عادَتْ فَقالَتْ في نَفْسِها: «سَأَنْتَظِرُ يَوْماً أَوْ يَومَين، رَحْمَةً بِالْفَرْخِ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَخْرُجَ إِلى النُّور».

وَنِعْمَ ما فَعَلَتْ. فَما هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ وَضُحاها، حَتَّى نَقَرَ الْفَرْخُ الْبَيْضَة، فَسارَعَتِ الْأُمُّ إِلَى مُساعَدَتِهِ عَلى الْإِفْلاتِ مِنْ حَبْسِه. وَإِذا بِها أَمامَ فَرْخٍ يَسْتَرْعِي الانْتِباهَ بِكُبْرِ حَجْمِهِ وَسِمَنِهِ وَبَشاعَتِه.



عندما بَلَغَتِ الْفِراخُ الشَّهْرَ، أو ما يَقْرُبُ مِنْهُ، مَشَتِ الْبَطَّةُ أَمامَهُم وَهْيَ تُبَطْبِطُ لَهُم (تُصَوِّتُ)، وَقادَتْهُم إلى مَجْرَى الْمِياه. كانَ مَوْلُودُها الأَخيرُ يَشْغَلُ بالَها. فَهْوَ لا يُشْبِهُ أَحَداً مِنْ إِخْوَتِه. وَكانَتْ بَطَّةٌ طاعِنَةٌ بِالسِنِّ قَدْ زَعَمَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْضَةِ دَجاجَةٍ حَبَشِيَّة، لا أَحَدَ يَعْلَمُ كَيفَ وُجِدَتْ بَينَ سائِرِ الْبَيْضات.

غَمَّ هذا الْكَلامُ الْوالِدَةَ (أَحْزَنَها)، وَأَدْخَلَ في نَفْسِها الشَّكَّ: تُرَى، هَلْ أَنْجَبْتُ دِيكاً حَبَشِيّاً (وَلَدْتُ)؟ سَنَتَحَقَّقُ مِنَ الأَمْرِ سَريعاً. فَالدِّيكُ الْحَبَشِيُّ لَيسَ طائِراً مائِيّاً، بل بِالْعَكْسِ إِنَّهُ يَفْزَعُ مِنَ الْماء.

وَكانَتْ قَدْ وَصَلَتْ إلى السَّاقِيَةِ، فَدَخَلَتِ الْماءَ، وَراحَتْ تُنادي فِراخَها، فَنَزَلوا وَراءَها الْواحِدُ



بَعْدَ الْآخر. وكَانَتْ تَنْتَظِرُ بِقَلَقٍ ما عَسى الْفَرْخُ الْأَخيرُ أَنْ يَفْعَل. فَإِذا بِهِ يَغْطِسُ في الْماءِ على غِرارِ إِخْوَتِهِ (مِثْلَهُم) ، بِلا خَوفٍ وَلا وَجَل. فَتَنَفَّسَتِ الْبَطَّةُ الصُّعَداءَ، وقَدْ سُرِّيَ عنها (زالَ هَمُّها) ، وفَكَّرَتْ في نَفْسِها : «لَيسَ فَرخاً حَبَشِياً ، والْحَمْدُ لله ، بَلْ هُوَ مِنْ لَحْمي وَدَمي».

لَكِنَّ فَرَحَ الْأُمِّ لَمْ يَدُمْ طَويلاً. ما إِنْ خَرَجَتْ مِنَ الْماءِ مَعَ فِراخِها ، حَتّى الْتَفَّ حَوْلَهُم قِسْمٌ مِنْ حَيَوانِ الْمَزْرَعَةِ وَطَيْرِها. ذَلِكَ لِأَنَّ مَوْلُودَها الْأَخيرَ كَانَ قَدْ لَفَتَ أَنْظَارَهُم. رَاحوا يَتَغامَزونَ (يُشيرونَ بَعْضُهُم إِلى بَعْضٍ بِأَعْيُنِهِم) ، وَيُسْمِعونَهُ كَلاماً يَنُمُّ عَنْ سُخْرِيَةٍ وَاحتِقار (يَدُلُّ على..) . فَأَطْلَقوا عَلَيهِ اسْمَ «شُرْشوح». وَلَقَدْ بَلَغَتِ الْقِحَةُ بِالْبَعْضِ مِنْهُم (قِلَّةُ الْحَياءِ) أَنْ نادَوا أُمَّهُ قائِلين : «يا أُمَّ الْبَنين ، احْجُبي ابْنَكِ عَنِ الْأَنْظار ، لِئَلّا نُصيبَهُ بِالْعَين.»

ساءَ هذا الْكَلامُ الْأُمَّ الْمِسْكينَة ، فَنادَتْ ذُرِّيَّتَها (أَوْلادَها) ، وَسارَتْ بِهِم إِلى مَكانٍ مُنْفَرِدٍ ، وَالْأَلَمُ يَحُزُّ في نَفْسِها (يَتْرُكُ فيها أَثَراً). وَكانَ يَزيدُ في أَلَمِها أَنْ تَرى إِخْوَتَهُ أَنْفُسَهُم يُعَيِّرونَهُ وَيَضْحَكونَ مِنْه. كانَتْ أُمُّهُ تُضاعِفُ عِنايَتَها بِهِ وَعَطْفَها عَلَيه ، لِتُنْسِيَهُ ما يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ إِهانَةٍ وَتَحْقير ، وَلَكِنْ دونَ جَدْوى (فائِدَة) . كُلَّما تَقَدَّمَتِ الْأَيّامُ ازْدادَتْ مَتاعِبُ صاحِبِنا وَآلامُه.

أَتَتْ ساعَةٌ شَعَرَ فيها الْبَطُّ أَنَّ الْكَيْلَ قَدْ طَفَحَ ، فَقَرَّرَ أَنْ يَلوذَ بِالْفِرار (يَلْجَأُ إِلَى الْهَرَب) . بَلَغَ بِهِ الْمَسيرُ بُحَيْرَةً ، فَإِذا هُوَ أَمامَ جَماعَةٍ مِنَ الْبَطِّ الْبَرِّي ، فَجَمَدَ مَكانَهُ ، وَبَدا عَلَيه الْارْتباك. فَبادَرَتْهُ بَطَّةٌ بِالتَّحِيَّةِ ، قالَت : «مَرْحَباً ، أَيُّها الْبَطُّ الْفَتى ، ماذا تُريد؟

—أَوَدُّ أَنْ آخُذَ قِسْطاً مِنَ الرَّاحَةِ بَينَ الْقَصَب ، إِذا كُنْتِ لا تُمانِعين.

—أَهْلاً بِكَ وَسَهْلاً. فَامْكُثْ بَيْننا ما طابَ لَكَ الْمُقام (لَذَّ ، حلا)».

سَرَّهُ هَذا الْكَلامُ ، وَأَنْساهُ آلامَهُ ، وَشَعَرَ كَأَنَّهُ يَحْيا حَياةً جَديدَة ، فَاسْتَسْلَمَ لِلرُّقاد. وَفَجْأَةً دَوّى طَلَقٌ ناري يُصِمُّ الْآذان. فَأَفاقَ مِنْ نَوْمِهِ مَذْعوراً ، وَفَتَحَ عَيْنَيهِ ، فَوَجَدَ أَمامَهُ كَلْباً تَقْدَحُ عَيْناهُ شَرَراً ، وَهُوَ يَهُمُّ بِالْوُثوبِ عَلَيه. فَسَمَّرَهُ الْخَوْفُ مَكانَه ، وَعَقَدَ الرُّعْبُ لِسانَه ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْتَرْحِمَ أَو يَسْتَغيث ، وَأَيْقَنَ بِالْهَلاك (عَلِمَ أَنَّهُ هالِك) . وفي آخِرِ لَحْظَةٍ حَدَثَ ما لَمْ يَكُنْ في الْحُسْبان : عَدَلَ الْكَلْبُ عَنْ مُهاجَمَتِهِ وَلَحِقَ بِصاحِبِه.

بَقِيَ صاحِبُنا مَكانَهُ مَشْدوهاً ، وَهُوَ لا يُصَدِّقُ أَنَّهُ ما زالَ عَلَى قَيدِ الْحَياة . «لِماذا ، يا تُرى ، عَفا الْكَلْبُ عَنِّي ؟ لَعَلَّهُ اسْتَبْشَعَني فَأَنِفَ أَنْ يَبْطُشَ بي (تَرَفَّعَ عن أَنْ يَقْتُلَني)» . فَقَبَعَ بَيْنَ الْقَصَب ، وَهُوَ لا يَزالُ يَرْتَجِفُ مِنَ الْخَوفِ ، وَلا يَجْرُؤُ عَلى الإِتْيانِ بِحَرَكَة . أَمَّا جَماعَةُ الْبَطِّ الْبَرِّيِّ الَّتي اسْتَقْبَلَتْهُ لَدى وُصولِهِ وَرَحَّبَتْ بِهِ ، فَقَدْ هَجَرَتْ ذَلِكَ الْمَكانَ النَّحْس ، وَقَصَدَتْ مَكاناً أَكْثَرَ أَماناً ، وَقَدْ راعَها مَصْرَعُ اثْنَينِ مِنْها (أَخافَها مَوتُهُما) .





ظَلَّ الْبَطُّ الْمَنْكُودُ الْحَظِّ مُخْتَبِئاً يوماً أَو يومَين. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَخْبَئِه، وَقَدْ ثَقُلَتْ عَلَيهِ الْوَحْدَة، وَبَرَّحَ بِهِ الْجُوع (آلَمَهُ أَلَماً شَديداً). رَاحَ يُجيلُ نَظَرَهُ يَميناً وَشِمالاً، فَلَمْ يَبْدُ لَهُ شَيْءٌ مُريب. إِنَّما لاحَ لَهُ نُورٌ ضَئيلٌ (بَدَا لَهُ)، فَقَرَّرَ أَنْ يَتَّجِهَ نَحْوَهُ. وَما مَضَى بَعْضُ الْوَقْتِ حَتَّى رَأَى نَفْسَهُ أَمامَ كُوخٍ بابُهُ مَفْتُوحٌ فَدَخَلَه. فَواجَهَهُ هِرٌّ تَقْرَأُ الشَّراسَةَ في عَيَنيه، وَأَمْرَأَةٌ عَجوزٌ يُلْقي مَنْظَرُها الرُّعْبَ في الْقُلوب، وَدَجاجَةٌ أَخَذَتْ تَقُوقُ، فَيُقْلِقُ الرَّاحَةَ صَوتُها.



مِسْكينٌ بَطُّنا التَّاعِس ! لَقَدْ شعَرَ بِأَنَّ ساعَتَهُ أَتَتْ (جاءَ وَقْتُ موتِه) . فَمدَّ عُنُقَهُ كَمَنْ يَتَوَقَّعُ أَنْ تَأْخُذَ الْعَجوزُ سِكِّيناً وَتَذْبَحه . وَلكِنَّ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ . فَلا الْهِرُّ أَلْحَقَ بِهِ أَذىً ، وَلا الدَّجاجَةُ غادَرَتِ الْوَتَدَ الْجاثِمَةَ عَلَيه ، وَانْهالَتْ تَنْقُرُهُ (إِنْصَبَّتْ) ، وَلا العَجوزُ أَخَذَتْ سِكِّيناً وَحزَّتْ عُنُقَه (قَطَعَتْهُ) . بَلْ بِالْعَكْسِ رَحَّبَتْ بِهِ ، عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَكونَ هَذا الْبَطُّ ، الَّذي وَفَدَ عَلَيها مِنْ حَيْثُ لا تَدْري ، بَطّاً عَجيباً ، لَهُ صِفاتٌ تُمَيِّزُهُ عَنْ سائِرِ أَبْناءِ جِنْسِهِ .

لاَ تَعْجَبْ . فَهِرُّ عَجوزِنا لَيسَ كَباقي الْهِرَرَة ، تَنْبَعِثُ مِنْ جِلْدِهِ أَشِعَّةٌ ، كَأَنَّها أَسْهُمٌ نارِيَّة ، فَتُضيءُ ظُلْمَةَ اللَّيل . وَدَجاجَتُها لَيسَ لَها مَثيلٌ بَينَ الدَّجاج ، فَهْيَ تَبيضُ مَعَ مَطْلَعِ كُلِّ نَهار بَيْضَةً مِنْ ذَهَب . وَلَكِنَّها عِنْدَما تَفَرَّسَتْ في الْبَطِّ الْماثِلِ أَمامَها خابَ أَمَلُها . فَبَشاعَتُهُ تَصِحُّ أَنْ تَكونَ مَضْرَبَ الْمَثَل ، وَهُوَ هَزيلٌ لا يُغْني عَنْ جُوع . لِذَلِكَ سِرعانَ ما دَفَعَتْ بِهِ إِلى خارِجِ بَيْتِها ، وَأَوْصَدَتْ دُونَهُ الْباب (أَغْلَقَتْهُ) .

مَكَثَ الْبَطُّ فَتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ لا يَدْري ماذا يَصْنَع ، وَأَينَ يَقْصِد. وَأَخيراً غادَرَ الْمَكانَ ، وَسارَ عَلَى غَيرِ هُدىً. فَبَلَغَ مُسْتَنْقَعاً ، فَقَرَّرَ أَنْ يُقيمَ هُناكَ إلى أَجَلٍ غَيرِ مُسَمَّىً (وَقْتٌ غَير مُحَدَّد). وَكانَ الْخَريفُ قَدْ أَقْبَلَ ، فَأَخَذَتْ أَوراقُ الشَّجَرِ بِالاصْفِرار ، وَبَدَتْ بَعْضُ الْغُيومِ في السَّماء.

في يَومٍ مِنَ الْأَيَّام ، مَرَّ بِهِ سِرْبٌ (جَماعَة) مِنَ الطُّيورِ عَظيمَةِ الْأَجْنِحَةِ تَسْبَحُ في الْفَضاء. هِيَ طُيورٌ مِنَ الْإِوَزِّ ، تَهْجُرُ الْبُلْدانَ الْبارِدَةَ ، قاصِدَةً مَناطِقَ حارَّة. لَمْ يَكُنِ الْبَطُّ قَدْ رَأى مِنْ قَبْلُ طُيوراً تُشْبِهُها ، وَلا يَذْكُرُ أَنَّ أَحَداً أَورَدَ اسْمَها أَمامَه. فَهِيَ طُيورٌ طَويلَةُ الْعُنُق ، يُحاكي بَياضُها بَياضَ الثَّلج (يُشْبِهُهُ).

أَغْبَطَهُ مَنْظَرُها (فَرَّحَهُ) ، فَراحَ يُصَوِّتُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَيُناديها :





—تَحِيَّةً مِنِّي إِلَيكِ، أَيَّتُها الطُّيورُ الْجَميلَة! لَقَدْ عَلِقَ بِكِ قَلْبي (هامَ بِكِ، أَحَبَّكِ)، رُوَيدَكِ (عَلَى مَهْلِكِ). رُحْماكِ، خُذِيني مَعَكِ. هَلَّا أَشْفَقْتِ عَلَيَّ».

هَلْ فَهِمَتِ الْوَزَّاتُ مَقالَه؟ لا نَدْري. هَلْ رَدَّتْ لَهُ التَّحِيَّةَ؟ لَا نَعْلَم. إِنَّما نَعْلَمُ أَنَّها عَلَتْ في الْجَوِّ أَكْثَرَ. فأَكْثَرَ. فرافَقَها بِنَظَرِهِ إِلى أَنْ حَجَبَتْها الْغُيومُ عَنْ بَصَرِه.

خَيَّمَ عَلَى الْمَكانِ سُكوتٌ عَميق. فَما عُدْتَ تَرى طائِراً واحِداً يُرَفْرِفُ في الْفَضاء. فَوَجَدَ الْبَطُّ الْمِسْكينُ نَفْسَهُ وَحيداً، لا يَلْقَى أَحَداً يَأْنَسُ بِهِ (يَأْلَفُهُ، يَرْتاحُ لِعِشْرَتِه).

وَكانَ الشِّتاءُ قَدْ أَتي، فَاشْتَدَّ الْبَرْدُ وَجَمَّدَ الْماء. فَحارَ صاحِبُنا في أَمْرِه، كَيفَ يَحْتَمي مِنَ الْبَرْدِ الْقارِس. كُنْتَ تَراهُ في حَرَكَةٍ دائِمَة، لا يَقِرُّ لَهُ قَرارٌ (لا يَثْبُتُ عَلَى حالَة). وَالْقَرُّ (الْبَرْد) يَزْدادُ يَوماً بَعْدَ يوم، وَحالَتُهُ تَسوءُ مِنْ يَوْمٍ إِلى يَوم. فَخُيِّلَ إِلَيهِ (حَسَبَ، ظَنَّ) أَنَّ ساعَتَهُ قَدْ أَتَتْ، وَسوفَ يَلْقِي حَتْفَهُ لا مُحالَة (سَيَموتُ دونَ شَكّ.) وَظَلَّ عَلَى هَذِهِ الْحالَةِ عِدَّةَ أَيَّام، إِلَى أَنْ أَتَى يَومٌ عَجِزَ فِيه عَنِ الْحَرَكَة، فاسْتَلْقِي عَلى الْأَرْض، وَأَغْمَضَ عَينَيه، وَكادَ يَلْفُظُ رُوحَه.

لِحُسْنِ الْحَظِّ في ذَلِكَ النَّهار بعَينه، [illegible] فَرَآهُ ملقىً عَلَى الْأَرْضِ لا حِراكَ بِهِ، فَأَخَذَتْهُ الشَّفَقَةُ [illegible] حَمله بِرِفقٍ بَيْنَ ذِراعَيهِ، وَسارَ بِهِ إِلى بَيتِه، وَسَلَّمَهُ إِلى زَوجَتِه، وَهُوَ عَلَى اخِرِ رَمَق (نَفَس).

أَخَذَتْهُ رَبَّةُ الْبَيْتِ بِيَدَيها بِلُطْف ، وَرَاحَتْ تَفْرُكُ جِسْمَهُ بِعِنَايَةٍ فائِقَةٍ لِتُدْفِئَه ، فَيَسري الدَّمُ في عُروقِهِ ، وَتَعودُ إِلَيهِ الْحَياة . شَعَرَتْ بِأَنَّهُ يَخْتَلِجُ بَيْنَ يَدَيها (يَتَحَرَّكُ ، يَنْتَفِضُ) . ثُمَّ ما لَبِثَ أَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ وبَسَطَ جَناحَيه . فَصَفَّقَ الْأَوْلادُ فَرِحين ، وَصَرَخوا بِصَوتٍ واحِد : « إِنَّهُ حَيٌّ ، إِنَّهُ حَيٌّ » .

جَفَلَ الْبَطُّ (فَزِعَ ، نَفَرَ) عِنْدَما ارْتَفَعَتِ الْأَصْواتُ ، وَعَلا التَّصْفيق . فَأَفْلَتَ مِنْ يَدَي رَبَّةِ الْبَيتِ الَّتي كانَتْ تُوليهِ عِنايَتَها ، وَصارَ يَنِطُّ مِنْ مَكانٍ إِلَى آخر داخِلَ الْغُرْفَةِ كَالْمَجْنون ، وَالْأَوْلادُ يَرْكُضونَ وَراءَهُ لِيُمْسِكوه . وَأَخيراً اصْطَدَمَ بِدَلْوٍ مَمْلوءٍ حَليباً ، فَوَقَعَ فيه ، وَتَطايَرَ الْحَليبُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً عَلَى الْجُدْرانِ وَالْأَمْتِعَة . فَحَمْلَقَتْ فيهِ رَبَّةُ الْمَنْزِل (نَظَرَتْ إِلَيهِ بِعَيْنَينِ واسِعَتَين) وَقَدْ فَتَحَتْ فاها (فَمَها) مَشْدوهَة ، وَهْيَ تُريدُ الْكَلامَ وَلا تَقْوى عَلَيه (تَقْدِرُ عَلَيه) .





أَمَّا الطَّائِرُ الْمِسْكينُ فَقَدِ ازْدادَ قَلَقُهُ وَجزَعُه (خوفُه)، وَأَخَذَ يَتخَبَّطُ في دَلْوِ الْحَليب، يَبْسُطُ جَناحَيهِ وَيجْمَعُهُا، وَيُحرِّكُ ساقَيهِ يُحاوِلُ الْخُروج. وَبَعْدَ جُهْدٍ جَهيد تَوَصَّلَ إِلى أَنْ يَخْرُجَ وَلكِنْ.. لِيَقَعَ في كِيسِ الطَّحين.

صاحَتْ رَبَّةُ الْبَيْتِ، وَهِيَ تَرْتَجِفُ مِنَ الْغَيظ: «أُريدُ أَنْ أَقْتُلَ هَذا الطَّائِرَ الْغَبِيّ (أَلْأَبْلَه، أَلْأَحْمَق). إِنَّ شَيطاناً يَسْكُنُهُ».

قالَتْ هَذا وأَخَذَتْ عُوداً مِنَ الْمَوقد، وَرَكَضَتْ وراءَه. فَأَدْخَلَ هَذا الْمَشْهَدُ السُّرورَ في قَلْبِ الْأَوْلاد، وَعَلَا صِياحُهُم: «أَمْسِكيه، أَمْسِكيه!»

كادَ الْخَوفُ يَقْضي عَلى الْبَطِّ (يَذْهَبُ بِحَياتِهِ) ، فَيَطيرُ عَلَى غَيرِ هُدىً ، يَرْتَطِمُ بِالْحائِطِ هُنا ، وَبِنافِذَةٍ مُغْلَقَةٍ هُناك ، إِلَى أَنْ وَجَدَ شُبّاكاً مَفْتوحاً ، فَخَرَجَ مِنْهُ ، وَلاذَ بِالْفِرار.

عِنْدَما شَعَرَ بِأَنَّهُ أَصْبَحَ بِأَمانٍ تَوَقَّفَ قَليلاً ، رَيْثَما يَلْتَقِطُ أَنْفاسَه ، ثُمَّ تابَعَ سَيرَهُ لا يَلْوي عَلَى شَيْءٍ (لا يَقِفُ). بَلَغَ شُجَيراتٍ مِنَ الصَّنَوبَر ، قَدْ قَوَّسَ الثَّلْجُ الْمُتَراكِمُ أَغْصانَها ، فَحَناها حَتَّى الْحَضيضِ (الْأَرْض). فَحَطَّ رِحالَهُ هُناك ، وَتَجَمَّعَ عَلَى ذاتِهِ ، وَجَثَمَ عَلَى الْأَرْض. فَاسْتَوْلَى الْيَأْسُ عَلَيه (الْقُنوط) ، وَطَفِقَ يَنْدُبُ سُوءَ طالِعِه (حَظِّهُ).

تَزاحَمَتِ الْأَسْئِلَةُ في رَأْسِهِ : أَينَ أَنا ، وَكَيفَ وَصَلْتُ إِلى هَذا الْمَكان؟ أَرَى نَفْسي وَحيداً . لا أَنيسَ يُزيلُ عَنْ قَلْبي الْوَحْشَة ، وَلا جَليسَ أَتَحَدَّثُ إِلَيه . وَالآنَ ما الْعَمَل ، وَإِلَى أَينَ أَقْصِد؟ آه . ما أَتْعَسَني ! أَنَّى تَوَجَّهْتُ تَعَرَّضْتُ لِلْإِهانَةِ وَالطَّرْد ، وَأَحْياناً لِلْمَوت . فَالأَجْدَرُ بي أَنْ أَنْقَطِعَ عَنْ مُخالَطَةِ الطُّيورِ وَالْبَشَر ، فَأَعيشَ شَريداً طَريداً بَعيداً عَنْ كُلِّ كائِنٍ حَيّ.

هَلْ أَخَذَهُ النَّومُ ، وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحالَة؟ لا يَدْري . إِنَّما يَعْلَمُ أَنَّ حَياتَهُ الْماضِيَةَ مَرَّتْ أَمامَ عَينَيه كَما في حُلْم . فَراحَ يَسْتَعْرِضُ في مُخَيِّلَتِهِ الْأَيّامَ السّالِفَةَ (الماضِيَة) الَّتي قَضاها بِصُحْبَةِ أُمِّه . نَعَمْ لَمْ يَكُنْ سَعيداً آنذاك ، إِنَّما كانَ يَنْعَمُ بِعَطْفِ أُمِّهِ وَحَنانِها . عِنْدَما كانَ يَقْسو عَلَيهِ حَيَوانُ الْمَزْرَعَةِ وَطَيرُها ، بِما فِيهِم إِخْوَتُه ، كانَتْ والِدَتُهُ تَتَأَلَّمُ لِأَلَمِهِ وَتَحْميه ، وَكَثيراً ما تَخْتَلي بِهِ (تَجْتَمِعُ بِه عَلَى انْفِراد) لِتَقُصَّ عَلَيهِ الْأَحْداثَ الَّتي رافَقَتْ وِلادَتَه.

وَيَذْكُرُ ، فِيما يَذْكُر ، ما كانَتْ تُرَدِّدُهُ أُمُّهُ عَلى مِسْمَعِه :

«إِنِّي أَشْعُرُ مَعَكَ يا بُنَيّ ، وَأُشاطِرُكَ هُمومَكَ (أُقاسِمُكَ إِيّاها) . كَمْ يَعِزُّ عَلَيَّ (يَشُقُّ عَلَيَّ ، يَصْعُبُ عَلَيَّ) أَنْ أَراكَ عُرْضَةً لِلْإِهانَةِ وَالتَّعْيير . لَقَدْ تَعَسَّرَ (صَعُبَ) إِطْلالُكَ عَلَى الْحَياة . فَنَصَحَتْني إِحْدى الْبَطّاتِ الْمُسِنّاتِ أَنْ أَتَخَلَّى عَنْكَ :





«صدِّقيني ، يا أُمَّ الْبَنين ، إنَّ الْبَيْضَةَ الَّتي لَمْ تُفْرِخْ ، هيَ بَيْضَةُ دجاجَةٍ حَبَشيَّة . فَالْفَرْخُ الْحَبَشيّ الَّذي سَيَخْرُجُ مِنْها يَكونُ عِبْئاً عَلَيك . » لَكِنِّي أَشْفَقْتُ عَلَيكَ أَنْ تَموتَ داخِلَ سِجْنِك . فَحَضَنْتُكَ حَتَّى خَرَجْتَ إلى النُّور . وَلَكِنْ عِنْدَما شاهَدْتُ ما آلَتْ إِلَيهِ حالَتُكَ (صارَتْ إِلَيهِ) ، وما لَحِقَ بِكَ مِنْ ذُلٍّ وَتَحْقير ، تَساءَلْتُ ، أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، هَلْ أَحْسَنْتُ صُنْعاً . لَقَدْ وَلَدْتُكَ لِلتَّعَبِ وَالشَّقاء . فَكُنْتَ تُلاطِفُني وَتُطَيِّبُ خاطِري . »



وَمَثَلَتْ أَمامهُ ساعَةُ الْوَداع ، ساعَةَ جاءَت أُمَّهُ وَقالَ لَها : «يا أُمَّاه ، ثَقُلَتْ عَلَيَّ الْحَياةُ هُنا . فَالْأَفْضَلُ أَنْ أَرْحَلَ إِلى بَلَدٍ ناءٍ (بَعيد) ، حَيْثُ لا أَعْرِفُ أَحَداً ، وَلا أَحَدَ يَعْرِفُني ...» وَأَفاقَ مِنْ غَفْلَتِهِ ، وَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ ، فَرَأَى الثَّلْجَ قَدْ ذابَ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَر.

لَقَدْ أَقْبَلَ الرَّبيع .

فَراحَ يَتَنَشَّقُ الْهَواءَ النَّقِيَّ مِلءَ رِئَتَيه ، وَيَرْوي عَطَشَهُ مِنَ الْماءِ الْعَذْب ، وَيَمْلأُ جَوْفَهُ مِنْ أَطايبِ الْخِضارِ وَالحُبوب . فَانْتَعَشَتْ رُوحُه . فَبَسَطَ جَناحَيهِ كَمَنْ يُريدُ أَنْ يَرْتَفِعَ في الْفَضاء ،

فَلاحَظَ أَنَّ جَناحَيه قَدِ اكْتَمَلَ نُمُوُّهُما وَقَوِيا ، وَداخَلَهُ شُعورٌ بِأَنَّ بِإِمْكانِهِ أَنْ يَعْلُوَ في الْجَوِّ ، فَيَسْمُوَ فَوْقَ الْغُيوم (يَعلُوها) ، وَيَسْتَمِرُّ في الطَّيَرانِ ساعاتٍ طَويلَة. لا بَلْ أَدْرَكَ أَنَّ بِوُسْعِهِ أَنْ يَقومَ بِرِحْلَةٍ قَدْ لا تَنْتَهي. فَأَخَذَتْهُ نَشْوَةُ الطَّرَب (سَكْرَةُ الْفَرَح). وَمِنْ ساعَتِهِ صَفَّقَ بِجَناحَيه وَطارَ. فَأَدّى بِهِ طَيَرانُهُ (أَوْصَلَهُ) إِلى رَوضَةٍ (أَرْضٌ كَثُرَتْ خُضْرَتُها) فَتّانَة. وَكانَتْ أَشْجارُ التُّفّاحِ وَالدُّرّاقِ الْمُزْهِرَة تَنْعَكِسُ في مِياهِ بُحَيْرَةٍ صافِيَة ، فَحَطَّ بِجانِبِها. وَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهُ عَظيمَةً ، عِنْدَما رَأى في الْجانِبِ الْآخَرِ ثَلاثَ وَزّاتٍ يَبْهَرُ بَياضُهُنَّ الْبَصَرَ.

هَمَّ بِالتَّوَجُّهِ نَحْوَهُنَّ ، لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَنَّ مَنْظَرَهُ يُثيرُ الاشْمِئْزازَ وَالسُّخْرِيَة. فَحاوَلَ أَنْ يَجِدَ لَهُ مَخْبَأً يُواريهِ عَنْ أَنْظارِهِنَّ. لَكِنَّ الْوَزّاتِ كُنَّ قَدْ أَبْصَرْنَهُ ، فَأَقْبَلْنَ نَحْوَهُ ، سابِحاتٍ بِلَباقَةٍ وَرَزانَة. فَتَمَنّى لَوْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَبْتَلِعُه. وَلَكِنَّ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ. حينَئِذٍ خَفَضَ رَأْسَهُ خَجَلاً ، وَتَطَلَّعَ في الْماء ، فَعَكَسَتْ لَهُ الْمِياهُ صورَةَ أُوَزٍّ بَهِيِّ الْمَنْظَر ، ناصِعِ الْبَياض. فَكادَ يَطيرُ مِنْ فَرْطِ الْفَرَح ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَشاهَدَ الْوَزّاتِ يُحِطْنَ بِه ، وَيَنْظُرْنَ إِلَيهِ مُعْجَبات ، وَيَتَوَدَّدْنَ إِلَيه. فَابْتَسَمَ لَهُنَّ وَانْضَمَّ إِلَيهِنَّ. فَعاشَ مَعَهُنَّ حَياةً أَنْسَتْهُ حَياتَهُ الْماضِيَة.



أسئلة

١) عرِّف في جملة بكل من الأشخاص الذين ورد ذكرهم في القصة.

٢) لماذا غادر البط الصغير أمه؟

٣) ماذا حدث للبط الصغير في بيت العجوز؟

٤) اين قضى البط الصغير فصل الشتاء؟

٥) من التقى البط الصغير في آخر القصة؟

٦) اين أمضى البط الصغير باقي حياته؟



حكايات كل زمان

- الزناد السحري
- رمودة
- حكاية من الشرق
- ثليجة البيضاء
- مصباح علاء الدين
- بولي وديدي
- غابة السهم الذهبي
- الأمير إفان والعصفور الذهبي
- أبو قير وأبو صير
- علي بابا واللصوص الأربعون
- هنسل وغريتل
- الأميرة وراعي الماعز
- البلبل
- الإخوة الثلاثة والكنز
- الزهو البري
- أبو جزمة
- شرشوح
- الملك الضفدع
- جوقة مدينة بريما
- الناي السحري
- الذئب والعنزات السبع
- الأمير دراغون
- الوزة السحرية
- حص الثوم
- الفول السحري
- الحمار الذهبي
- وريدة الحمراء وثليجة البيضاء
- قرة العين
- القزم وابنة الطحان
- الحية البيضاء
- الشاب المحظوظ
- جميلة الغابة
- راعية الأوز
- جوهرة




مسح واعداد : احمد هاشم الزبيدي
Ahmed Hashim Al-zubaidy
ARAB COMICS
AC
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
دار ثقافة الأطفال
مكتبة
سمير
دار المسيرة
NATIONAL GEOGRAPHIC
هذا العمل هو لعشاق الكوميكس ، و هو لغير أهداف ربحية ولتوفير المتعة الأدبية فقط ، الرجاء حذف هذا العدد بعد قراءته ، و ابتياع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها...
This is a Fan base production , not for sale or ebay , please delete the file after reading, and buy the original release when it hits the market to support its continuity